Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أصاح ترى برقا أريك وميضه كلمع اليدين فى حَبِىٍّ مُكَلَّلِ[٢١]

وأظن أنه من الوضوح بمكان أن تراكم الأحداث وتدافعها نحو امرىء القيس ، وأن ما ينبعث فى نفسه من أمل وسط هذه الأحداث المتراكمة حوله أشبه بالبرق الذى يلمع بين تراكم السحاب ، ولكن هذه الصورة لذاتها لم تكن هى الخاتمة ، وانما كانت بداية الخاتمة ، أو بداية النهاية كما يقولون ، وليس هذا البيت وحده هو الذى كان دقيق الرمز إلى واقع امرىء القيس ، ولكن أبيات العنصر كلها كانت كذلك ، فلننظر إلى هذا التسلسل فى قصة نهاية امرىء القيس ، أحداث جسام تراكمت فجأة حوله ، بدأ يصارعها مؤملا فى صراعه خيرا ، ولكنه سرعان ما فوجىء بأن الأحداث أعتى وأفدح مما كان يحسب ، وإذا هذه الأحداث تدمر كل شىء ، بل وكل أمل ، هذا ملخص نهاية حياة امرىء القيس ، وهو نفسه ملخص العنصر الأخير من القصيدة بصورة تكاد تكون حرفية ، فإن هذا السحاب الذى رجا منه هو وأصحابه خيراً وخصباً ، أمطر فعلا ، ولكنه لم يكن مطر خير وخصب ، وإنما كان مطر الذعر والدمار ، فقد عم سهول ضارج والعذيب وأماكن أخرى ، وسيطر على رؤوس جبال الشيم والستار ويذبل ، وإذا هو ليس مطرا ، وإنما هو سيل منهمر متدفق ، يدمر أمامه وتحته كل شىء ، فيكب الأشجار الضخمة على أذقانها كما يقول ، وتذعر منه الأوعال العصم فتهوى من منازلها فى جبل القنان ، ويضرب لنا الشاعر مثالاً للدمار بقرية تيماء التى لم يترك بها هذا السيل جذع نخلة ولا بيتا ولا حصنا إلا ماكان من صم الصخر :

وتيماء لم يترك بها جذع نخلة ولا أُطُمًا إلا مَشيدًا بجندل[٢٢]

بل إن هذا الدمار طغى حتى على السباع التى يفترض أنها تحصن نفسها ضد عوامل البيئة من المطر والسيول والحر والبرد لأنها وليدة هذه البيئة وربيبتها ، ولكن هذا السيل طغى عليها بما يحمل من طين ورمال فكاد يدفنها ، ولم يظهر منها إلا ما يبرز من الأرض بروزا ، وكأنها حينئذ رءوس بصل مغروسة فى الأرض ، ولا يبدو منها فوق الأرض إلا أعناقها :

كأن السباع فيه غرقى عشية بأرجائه القصوى أنابيش عنصل[٢٣]